

طِفْلُ غَانِيَةٍ

قالوا له أحلى كلام
قالوا لنا : قد جاء في ليل الظلام
ليل الخطايا

جاء من صلب البغايا
صلب غانية تفرح بالصيد
جاءت من الريف البعيد
بجثا عن العيش السعيد
في كل عام

في السوق ... في وسط الزحام
وتعيد ما كانت تجيد
وبقيت أنت هنا وحيد
منذ الفطام

القت بك الايام في وسط الطريق
عينك مطفأتان من وهج البريق
في درب قافلة تسير بلا دليل... في الظلام
ما زلت تسأل ... يا أبي

عبثا ويرتد السؤال
« النار قد تلد الرماد »
والناس قد تلد الحرام من الحلال
وتخاف ان يأتي المساء
ويقهقه العطر الطليق ... من المباخر في الطريق
فيشدّ في حلقاته السوداء ... شهوات الصديق
فيعود كل مشرد قد ضل في الدرب العتيق
يتذكر الباب القديم
فيعود يطرق بابكم
يأتي اليه صحابكم
في الباب يسترق النظر
من فتحة الباب الصغير
وعرائس الليل الطريد تموج في فرح مثير
وجاعة ووقت تحملق فوق حائطه القصير
قد مزقت اعصابها خصل الحرير
فهوت بكف مثل مطرقة الحديد
فتحطم الباب الصغير
حتى الصباح
الشارع المقروح في اضلاعه نرف الجراح

وتطير اعقاب الزجاج مع الصياح
والواقفون على الطريق يثرثرون
مثل العناكب في الجدار
ويوسوسون
يتحرك الصف الطويل قوافلا
في الانتظار
مثل الجنود العائدين من القتال
والصمت أطبق في الشوارع ... والظلام
والليل أخرسه الضجيج وهذه طول الصدام
يمشي باقدام العجوز على الحرائب والحطام
زرع الاجنة في البطون حصاد عام
عام جديد ... طفل جديد ..
عند السويغات الاخيرة في الصباح
تأوي اليك الام خائرة القوى
تحنو عليك لكي تنام
منهوكة الاعصاب ميتة العظام
قالوا له ... أحلى كلام
قالوا لنا : قد جاء من صلب الحرام
ما عاد يبصر روعة الشمس الحبيسة تحت غابات الظلام

ويسير في نفس الطريق
وسط الزحام بلا صديق
ويلوك في شذقيه نفة انتقام
ما زال يحلم بالابوة... قبله حرى... وشوقا... وابتسام
ويعيش في طهر الامومه
دفع عفتها يعيد اليه مجدا من حطام
مجد الطفولة تحت رايات السلام

ديسمبر ١٩٥٩